الباب الثاني
الامام البوصيري و قصيدته

الفصل الاول

1. ترجمة الامام البوصيري

هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبدالله. أصله من المغرب من قلعة حماد من قبيلة يعرف أبناؤها ببني حبنون, ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية, ينسب تارة الى بوصير (من أعمل بني سويف بمصر) لأن أمه منها, وتارة أخر ى إلى صنهاجي,لكن اباءه استوطنوا قرية دلاص أو بوصير.ولهذا فإذا نسب إلى أمه فهو بوصيري النسب,وإذا نسب إلى أبيه فهو دلاصي النسب.وله ثالثة مركبة منهما مع الدلاصيري لكنه اشتهر بالبوصيري[12].

وفي بوصير قتل مروان الثانى اخر خلفاء بني أمية, وإليها بنسب ابو القاسم هبة الله بن على, أحد رجال الحديث المتوفين سنة 598 هى والبوصيري يعتز بأصل المغربي[13]. ويتحدث ابن تعزي بردي عن محاولة البوصيري الخلع على نفسه لقب الدلاصي فقال :(وكانت له - يعني البوصيري- أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين, مثل قوله كساء له: كساط. فقيل له لماذا تسمية بذلك؟ فقال: لأني تارة أجلس عليه, وتارة أرتدري, فهو كساء وبساط) الا أن هذا اللقب ظل مجهولا, ولم يشتهر الا

---

1 الدكتور على نجيب عطوي "البوصيري" (در الكتاب العلامية) بيروت-لبنان ص.79

[13]نفس المرجع.

بالبوصيري ويكني بشرف الدين. وقد اختلف المؤرخان ابن تغري بردي والمقريزي في اسم البلدة التي ولد فيها البوصيري. فقد رأى ابن تغزي بردي أن مولده كان ببهشيم من أعمل البهنسا, ورأى المقريزي أنه ولد بناحية دلاص, ولكنهما اتفقا على أنه ولد في يوم الثلاثاء أول شوال سنة 605 أو 608, أو 610 هى كما رأي المقريزي. وفي سنة 608 وتبعه في ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهشيمي[14].

2. وثقافته

قيل أنه بدأ حياته الدراسية بحفظ القران, ثم جاء إلى القاهرة,والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر حيث درس العلوم الدينية, وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض, كما درس الأدب, وجانب من التاريخ الإسلامي, وبخاصة السيرة النبوية, وربما يكون درس في مساجد أخرى غير مسجد عبد الظاهر[15].

وقد حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبي الذي تولى ملك مصر سنة 637 هى أخرج ثلاثة ألاف دينار لتوزع على طلبة المدارس. وعهد في توزيعها إلى أحد الفقهاء, فلم يوزع شيئا. فنظم البوصيري قصيدة على لسان هذا المسجد. بين فيها أن المال الذي أخرجه السلطان قد اختلس. ومن هذه القصيدة نفهم أن الشاعر كان يطلب العلم في المسجد المذكور. فلم فرضنا أن السلطان اخرج هذا المال في العام الذي تولى فيه, وهو عام 637

[14]تفس المرجع. ص. 80
[15]نفي المرجع.

لكان البوصيري إذ ذاك في الثلاثين من عمره تقريبا.

ثم أقبل على تصوفه فدرس ادابه وأسراره, وقد نلقى ذلك عن أبي الباس المرسم, الذي خلف أبا الحسن الشاذلي طريقته. وكان بين البوصيري وشيخه علاقب حب. وقد تأثر البوصيري بهذه التعالم. وظهر أثر ذلك في شعره واضحا. وعرتة عليه وظيفة الحسبة,وهذة الوظيفة لا تستند الا لمن ألم بمبادئ الفقه. ثم إنه اشتغل كاتبا في بلبيس. فلا بد أن يكون قد أمل بالأعمال الحسابية التي ينبغي أن تتوافر فيمن يعين في مثل هذه الوظيفة.

وكان يطالع المؤلفات التي يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم. وقد رأى إنكارا لنبوة محمد (ص) فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة,كما درس تاريخ ظهور المسيحية , ثم أخد يرد على أصحاب هذه الديانات, محاولا إقناعهم بأن الأناجيل التي بين أيديهم لا تدل على الواهية عيسي وإنما تدل على نبوته. وإن هذه الأناجيل تخبر بظهور نبي من أبناع إسماعيل, ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصي.

وإلى جانب ما تقدم, كان البوصيري, يجيد فن الخط, وقد ذكر ابن حجر الهثيمي أن البوصيري كان من عجائب الله في النثر والنظم. ولكننا لا نعرف عن نثره شيئا, وما كتبه تعليقا علي قصيدته ((المخرج والمردود على النصاري واليهود))لا يدل على براعة في النثر. أماالذين أخدوا على البوصيري: فمنهم أبو حيان الأندلوسي المتوفي سنة 725 هى بالقاهرة.

وأبو الفتح بن سيد الناس اليعْمَري المتوفي سنة 734 ه, وعز الدين بن جماعة المتوفى 735 هى, ويبدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره. وكان يجلس أحيانا في جامع الظاهر, وينشد مدائحه النبوية على الحضرين[16]. وعلى كل فمن الراجع أن البوصيري لم يصب حظاً كبيرا من الدراسة المنظمة لأنه مع كثرة المدارس في عهده لم تسند إليه وظيفة التدريس في أي مدرسة. وقد فتح كتاباً. لتحفيظ القرأن.وهذا عمل لا بزواله إلا من أوتي قليلاً من الثقافة.

3. صفاته

وصف البوصيري بأنه مختصرا الجرم, ومعنى هذا أنه كان قصيرا نحيفاً, ومن أجل موضع دعابة الناس يسخرون منه أحيانا, وتقتحمه عيونهم[17]. ندرك موقف الأدباء من البوصيري الذي كان ضيق الصدر, لا يحتمل أن ينقد أحد شعره ونوادره. وكان يطلق لسانه في كل من يتعرض لشعره بنقد. وقد نقد المقريزي, عن صاحب مسالك الأبصار, عن الشهاب محمود, وهو معاصر للبوصيري, أن صاحبنا كان على غزارة فضله ممقوتا, لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح. وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء, فلا عجب أن كرهه الناس أجمعون, حتي تمنوا له الموت, والدليل على ذلك , أنه مرض مرة, وأغمي عليه لمدة طويلة, فأشاع الناس أنه مات, وتناقلوا خبر موته.ولكنه برىء وسجل فرحه بشفائه. فلم يكن البوصيري مكروها

[16]نفس المرجع. ص.82
[17]نفس المرجع.

من كتاب النصارى واليهود وحدهم بل كان مكروها من الناس أجمعين.حتى من أقرب الناس إليه, وهي زوجته.

وقد كان البوصيري كثيرا للناس, فمن من كان يحسن إليه اتقاع لسانه. وهو مع كان يسيء الأدب فى السؤال. وكان له صديق اعتاد أن يبعث شربة في كل سنة. فتأخرعنه في إحد السنين, وكان من عادة البوصيري إذا عمل فيه إنسانا معروفا في مناسبة من المناسبات. أن يعد هذا واجبا مقدسا يلزمه القيام به نحوه, وويل لمن يتأخر, فإن يطلق فيه لسانه فلا هو يذكر ما وصله به من بر. ولا هو ما يلتمس عذرا لمن يتأخرعنه. وهذا ما حدث لهذا الصديق الذي كان يحسن إلى الشاعر. فإن البوصيري لم يهمله, بل بعث إليه طالبا منه أداء هذا الواجب. فوصف ما يعانيه من ألم, وعاتبه على إهماله في إرسال الشربة. ثم ذكر أنه في ضيق شديد, وختم قصيدته بما نعف عن ذكره[18].

والواقع أن طبقة فقراء الصوفية في ذلك العصر, فرضوا أنفسهم على الناس فرضا, وعاشوا عالة على المجتمع. فأراد البوصيري أن يخدو خدوها, ولكنه لم يتقن الفن الذي مكن الصوفية من العيش على حساب غيرهم. هذا من ناحية أخرى فإنه. كان كما وصفه مؤرخوه, سليط اللسان, ويظهر ذلك واضحا فيما نظمه من هجاء.

وكان البوصيري يقف دائما إلى جانب ذوي السلطان, مؤيدا لهم سواء أكانو على الحق أم على الباطل. فوقف إلى جانب العنصر التركي. ومدح الممالك مدحا فيه غلو كبير وهجا العرب هجاء مرا. ولما فرغ

[18]نفس المرجع. ص.83

علم الدين سنجر الشجاع من إمام مجموعة المباني المنصوري, أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ محمد المرجاني بعدم جواز الصلاة في الجامع المنصوري. وذلك لما وقع على الناس من عسف وسخرة حين بنائه. وقد ألح السجاع, الذي كان مرهوبا واحدا فامتنع.قال المقريزي بعد أن ذكر ذلك.((ولكن البوصيري مدحه)) فلم يكن البوصري يعرض نفسه لغضب الأمراء مهما فعلوا[19].

ويبدو من شعره انه كان يحب حياة الدعوة والتعطل, وأنه كان يرى من حقه على الناس أن يحملوا إليه كل ما يحتاج إليه من أسباب العيش،ولم يذكر له المقريزي سوى منقبة واحدة, وهي أنه كان كريما ولعل كرمه هذا او سواء تدبيره للمال,كان من أسباب من إملاقه. اما الصوفية, فإنهم ذكروا البوصيري مناقب كثيرة منها أنه بلغ مقام الغوائية القبرى, وكان إذا مشى في الشوارع أسرع إليه الناس بقبلون يديه حتى الصغار, وكانت تنبعث من جسده رائحة طيبة.وكان يرتدي الملابس الجميلة.منور شبيبة. بسام الثغر متواضعا, زهدا ذا ئفة ووقار, إلى غير ذلك, مما لا دليل عليه من شعره أو من أقوال المؤرحين الثقات.

4. تصوفه وعمله

يبدو أن البوصيري نشأ في أسرة فقير, ولذلك أضر إلى السعي لطلب الرزق مند صغره. فزاول كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور[20]. وقد عرض بأحد المحتسبين المعاصرين له, وذكر لنا ما

[19]نفس المرجع. ص.86
[20]نفس المرجع. ص.87

جرى عليه من سوء عمله فيبدو أن صاحبين خشي خشي أن يصيبه مثل ما أصاب ذلك الرجل. وعلاوة على ما تقدم, فإن شخصا يسمى(الفخر الفيشي) كان ينافسه في الحصول على هذه الوظيفة, فرأى البوصيري أن يتقي شر هذا المنافس, وأن يبتعد عن الحسبة ومتاعبها, وقنع بها يكسبه من كتابة الألواح.

ويبدو أنه لم يجد عملا حسابيا في القاهرة, فاضطر إلى قبول وظيفة في بلبيس. ولم يكن الرجل ماهرا فى الأعمال الحسابية كما ادعى, بل كان لما روى المقريزي, قليل المعرفة بها. لذلك كثر عنده الخطأ, وكان كتاب النصاري, وهم أعمل منه بالحساب, يكتشفون هذه الأخطاء, ويقررون عدم صلاحية البوصيري لما أسند إليه. فأخذ يدافع عن نفسه, ويرمي هؤلاء الكتاب بالجهل, ويذكر أنه أعمل منهم فمن ذلك: "يغالطني بعض النصارى جهالة, إذا أوجب الملغى والغي الموجَّبان, وما كان من عدا الثلاثة واحدا", بأعلم مني باحساب وكتبا. ثم إنهال عليهم بالشتائم ورماهم بكل موبقة. فنسب عداء بينه وبينهم, إلا أن الفقر اضطره إلى مسايرتهم على مضض,وكان نصارى بلبيس مع ذلك يحاولون إرضاءه با لهدايا.

ويبدو أنه كان موضعا لدعابة الكتاب. وقد حدث أن ناظر الشرقية استعار حمارة البوصيري, فأعجبته, فاختفظ بها, وبعث إليه مائتى درهم. ولكن البوصبري كان حريصا على حمارته. فكتب على لسانها قصيدة إلى ناظر الشرقية, تدل على ما طبع عليه من ميل إلى الدعابة فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم, ومما قال البوصيري. ويقول المقريزي : إن البوصيري كان يعاني صناعة الكتابة الدِّيوانية, ويتصرف في

المباشـــرات, وباشـــر فـــي الشـــرقية ببلبـــيس, ورمـــى المباشرين بأوابد.

وصـــناعة الكتـــاب التـــي يـــذكرها المقريـــزي هـــي كتابـــة الحســـاب, وكانـــت وظيفـــة البوصـــيري صـــغيرة, لأن نزاعـــه مـــع الكتـــاب, يـــدل علـــى أنـــه كـــان واحـــدا مـــنهم, وربمـــا كـــان تنقلـــه بـــين المـــدن والقـــرى التـــي ذكـــره فـــي شـــعره بحكـــم عملـــه. وقـــد ذكـــر مؤرخـــو البوصـــيري أنـــه اخـــتص بـــا الصـــاحب زيـــن الـــدين يعقـــوب بـــن عبـــد الرفيـــق, وهـــذا الـــوزير بقـــي فـــي منصـــبه مـــن ســـنة 656 إلـــى ســـنة 659 ه فـــا لراجـــع أن البوصـــيري ذهـــب إلـــى بلبـــيس بعـــد عـــزل ابـــن الزبيـــر أي فـــي سنة 659ه.

ويبـــدو أن إقامـــة فـــي بلبـــيس لـــم تظـــل. وذلـــك لأن الســـلطان الظـــاهر أدخـــل فـــي ســـنة 663تعـــديلا علـــى نظـــام القضـــاء, بـــأن عـــين قاضـــيا لكـــل مـــذهب مـــن المـــذهب الأربـــة, وللبوصـــيري أبيـــات فـــي هـــذا الصـــدد, تـــدل علـــى أنـــه كـــان مقيمـــا بالقـــاهرة. ومـــع أن عصـــر البوصـــيري إمتـــاز بكثـــرة الوظـــائف والمـــوظفين, وبخاصـــة وظـــائف التـــدريس, إلا أنـــه لـــم يظفـــر بعمـــل يعـــيش منـــه, فاضـــطرإلى أن يفـــتح كتابـــا لتخفـــيظ القـــران. وقـــد أشـــار إلـــى ذلـــك بقولـــه :"قـــد صـــار كتـــاب كتـــابي وبيتـــي مـــن بنـــي غيـــري وأبنـــائيي كبـــرج حمـــام". ولعـــل ربحـــه مـــن هـــذا الكتـــاب كـــان زهييـــدا, فاضـــطر إلـــى إغلاقـــه, وخـــرج مـــن القـــاهرة ســـعيا وراء الـــرزق, فـــذهب إلـــى المحلـــة, ومـــدح ناظرهـــا, ويبـــدو أن هـــذا النـــاظر قـــرر لـــه إعانـــة شـــهرية, ولكنـــه كعادتـــه لـــم يســـتطع أن يكســـب عطـــف الكتـــاب, وبخاصـــة النصـــارى, فـــأخروا عنـــه مرتبـــه حتـــى عـــدة شـــــــهور دون أن يعطـــــوه شـــــــــــيئا, فـــأثر فـــي نفســـه تـــأثيرا شـــديدا, وانهـــال علـــى هـــؤلاء الكتـــاب

بهجاء مقذع, ووصفه ما لاقاه من الجوع, بسبب تأخرهم في صرف ما تقرله.

رجع البوصيري إلى القاهرة وأعاد فتح كتابة, وكان دأب رجال الصوفية في ذلك الوقت أن يكثروا من التنقل من بلدة إلى أخرى. وكانت الإسكندرية إذ ذاك موطنا لقوم من الصوفية الوافدين من بلاد المغرب. وكان أبو العباس المرسي شيخ البوصيري يزور الإسكندرية من حين إلى حين, وقد استقر بها أخيرا إلى أن مات سنة 686ه [21].

فمن المحتمل أن يكون البوصيري قد دفعه الفقر إلى مغادرة القاهرة. والذهب إلى الإسكندرية. ويغلب إلى الظن أن سفره كان قبل وفاة أبي العباس أي قبل سنة 686 ه . ولكن هل استقر البوصيري في الإسكندرية أو كان ينقل بينها وبين القاهرة, لقد نظم أبياتا في فتح عكا تدل على أنه كان مقيما بالقاهرة. وهذا حدث سنة 690 ه. ثم إن المقريز ذكر أنه توفي بالمارستان المنصوري بالقاهرة, وروى العياشي الحالة المغرب الذي جاء إلى القاهرة سنة 1073 ه, أنه زار قبر شرف الدين البوصيري بناحية الإمام الشافعي. وعلى كل حال فليس في شعر البوصيري ما يدل على سفره إلى الإسكندرية. ومن المؤكد إنه لم يزاول عملا خطيرا هناك. لأنه كان شيخا كبيرا, ضعيفا سقيما. ولا شك أن البوصيري أخفق في حياته العملية. وذلك, لأن الانسجام كان مفقودا بينه وبين الناس. وقد عرفنا من أخلاقه ما يكفي لإدراك سر إخفاقه.

5. مذهبه الديني وتصوفه

[21] نفس المرجع. ص.95

في سنة 663ه غير السلطان الظاهر نظام القضاء. فجعل القضاة أربعة, لكل مذهب قاضي, بعد أن كان يتولى القضاء قاضي واحد, ينتمي إلى المذهب الشافعي[22]. وقد أنكر بعض الفقهاء على السلطان ذلك, لأنهم رأوا فيه تفرق لكلمة المسلمين. وقد روي أن بعضهم رأى السلطان الظاهر في النوم, فسأله عن حاله, فقال: (ما رأيت أشد علي من ولاية قضاة أربعة. وقيل لي فرقت الكلمة). ولكن البوصيري لم يجد بأسا في هذه التفرقة, بل وجد فيها توسعة ويسرا. وقال إن بنية الإسلام كانت مريضة, فصحت بهذا العمل.

وقد صار هذا الرأي عقيدة عند المسلمين فيما بعد, وسندهم في ذلك الحديث معناه أن اختلاف أمتي رحمة. هذا مذهب البوصيري الفقهي. وأخذ يطري السيدة نفيسة, فذكر أنها هي العروة الوثق, والرتبة العليا, والغاية القصوى لمن قصدها واستجد بها, وأنها منبع الكرم. ولولا وجودها ما اخضر يابس , ثم شكا إليها يجده من الضيق والبلاء, وتواسل إليها أن تدركها وتنقذه مما يعانيه.

حياته ي منزله:

يبدو من شعر البصيري أن حياته في منزله كانت جحيما لا يطاق, وهو لا يلوم نفسه ولا يحملها شيئا من التبعة في ذلك. بل يلقي كل اللوم على زوجته, وذنبها الأول في نظره أنها كانت ولودا, فأثقلت ظهره بالأولاد.

كان البوصيري متبرما بكثرة أولاده, فتمنى لوكانت زوجته عقيما, أو أنه كان خادما في منزل, أو أنه عدل عن الزواج إلى ارتكاب

[22]نفس المرجع. ص. 96

الفاحشة, أو جاري بعض الصوفة في الشذوذ الجنس, وذكر أنه سافر إلى المحلة سعيا وراء ما يكفي اولاده, فلم يعجبهم سفره ولا اقامته بينهم. قال :

فارقتهم طالبا لرزقهم فلا # صرفي يسرهم ولا استخدمي

ولأن البوصيري كان مقتّرًا عليه فى الرزق, ظلت الخصومة محتدمة بلا انقطاع بينه وبين زوجته. وعلى الجملة, فإن الحياة القاسية التي ترتكزعلى الفقر والشيخوخة, وما صحبها من أسقام,كانت موضوعا للشعر, يعرضه في مدائحه, ليستدر عطف ممدوحية.

فنحن هنا نعلم أن الرجل لم يكن مبالغا فيما صور به حياته القاسية, والعجب بعد ذلك لمن يعتقد أن القصيد تجلب الررق, وتطرد الفقير. وفي أواخر أيامه انتابه الأسقام, فكان يصاب بالإغمام لمدة طويلة, حتى يظن أنه مات, ويذكر أنه مصاب بالبرْسام, وهو التهاب في الصدور[23].

الفصل الثانى

1. القصيدة المضرية للإمام البوصيري

ومن شعر البوصيري وقف النقاد ما بين معجب به, وغير معجب, والإعجاب غير الإعجاب إنما هو نسبي وجزئي وليسا عاما, وهذا ما اعتدنا أن نسمعه من النقاد القدامى والمحدثين[24]. فابن شاكر الكتبي يري شعر البوصيري أنه فيه غاية الحسن واللطفة, عذب الألفاظ منسجم التراكيب. وكان البوصيري شيخا مختصر الجرم, وفيه كرم, وله شعر فائق, قال فيه فتح الدين

[23]نفس المرجع. ص.101

[24]نفس المرجع. ص. 165

محمد بن سيد الناس: هو أحسن شعرا من الجزار والوراق.

وكان يعاني صناعة الكتابة الديوانية, وينصرف في المباشرات, وباشر في الشرقية ببلبيس, ورمي المباشرين بأوابد, ومات سنة خمس وتسعين وستمائة بالمارستان المنصور فى القاهرة. وفي المنهل الصافي لابني تغري بردي: قال الشيخ أثير الدين : كان البوصيري مختصر الجرم, وفيه كرم, وأظن وفاته كانت في سنة وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة, وله في مديح النبي (ص) عدو قصائد طنانة.

وتحدث عن البوصيري ابن العماد: وفيها (اي سنة أربع وتسعين وستمائة) الشرف البوصيري صاحب القصيدة محمد بن سعد بن حماد الدلاصي المولد المغربي الأصل البوصيري المنشأ ولد بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة, وبرع في النظم قال فيه الحافظ ابن سيد الناس هو أحسن من الجزار والوراق قال السيوطي في حسن المحاضرة, وأقول والأمر كماقال ابن سيد الناس ومن سبر شعره علم مزيته وما أحسن قوله في افتتاح ديوانه:

كتب المشيب بأبيض في أسود # بخضار ما بيني وبين الخُرّد

وفي جواهرالأدب أن البوصيري قال الشاعر البليغ في جده وهزله ومن أشهر شعره القصيدة. ومن حكمها البديعة المشوبة بمحاسن البديع:

أزكى صلاة وأنماها وأشرفها # يعطر الكون ريا نشرها العطر

معبوقة بعبيق المسك زا قية # من طيبها أرج الرضوان ينتصر

عـد الحصـى والثـرى والرمـل يتبعهـا # نجـم السـما ونبـات الأرض والمدر
وعـد وزن مثاقيـل الجبـال كمـا # يليـه فطـر جميـع المـاء والمطر
وعـد مـا حـوت الأشـجار مـن ورق# وكـل حـرف غـدا يتلـى ويستطر
والـوحش والطيـر والأسـماك مـع نعـم # يلـيهم الجـن والأملاقك والبشر
والذر والنمل مع جمع الحبوب كدا # والشعر والصوف والأريلش والوبر
ومـا أحـاط بـه العلـم المحـيط ومـا # جـرى بـه القلـم المـأمور والقدر
وعـد نعمائـك اللاتـي مننـت بهـا # علـى الخلائـق مـذ كـانو ومذ خسروا
وعـدما كـان فـي الأكـوان ياسـندي # ومـا يكـون إلـى أن تبعث الصور
فـي كـل طـرف عـين يطرفـون بهـا # أهـل السـماوات والأرضين أويذرا
ملءالسماوات والأرضين مع جبل # والفرش والش والكرشى وما حصر

وفـي تـاريخ الآداب العربيـة يقـول رشـيد يوسـف عطـإ الله: البوصـيري شـاعر محسـن مطبـوع اللهجـة, متفـتن الـنظم, عذبـة الألفـاظ, منسـجم التراكـب, وقـد اشـتهر بقصـائد طنانـة فـي مـدح نبـي المسـلمين أشـهرها القصـيدة المضـرية. والقصـيدة فـي سـمو عاطفتهـا وروعـة معانيهـا, نغـم علـويين يشـدو بـه المحبـوب الاتقيـاء فيصـلون علـى النبـي ويبتهلـون بهـا إلـى الله تعـالى. وذلـك لأن البوصـيري,

وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبي, إلا أنه غالى في مدحه غلوا أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية.

لكن اخرين رأو في مدائح البوصيري النبوية قوة الأسلوب, وحسن الصياغة, وجودة المعان, وجمال التشبيهات, وروعة الصور. ولعل السبب في إبداع البوصيري في مدائحه إلى إعتقاد الصوفية بأن النبي (ص) يسمع ما يخاطب به, وما يقال في مدحه, لذلك اجتهد البوصيري فالفوز بإعجاب الرسول , حتى تغفرله ذنوبه, وينجي من عذاب النار, ويدخل الجنة هذا من جهة[25].

ومن جهة أخرى أراد البوصيري أن يقول لمدح للخلفاء الراشدين, أبو بكر الصديق, عمربن الخطاب, عثماب بن العفان, و على بن أبي طالب,وأصحابه الذين معهم :

ثم الرضا عن أبي بكر خليفته # من قام من بعده للذين ينتصر

وعن أبي حفص الفاروق صاحبه # من قوله الفصل في أحكامه عمر

وجد لعثمان ذي النورين من كملت # له المحاسن في الدارين والظفر

كذاعلي مع ابنيه وأمهما # أهل العباء كما قد جاءنا الخبر

سعد سعيد بن عوف طلحة وأبو # عبيدة وزبير سادة غرر

وحمزة وكذا العباس سيدنا # ونجله الحبر من زالت به الغير

والأل والصحب والأتباع قاطبة # ما جن ليل الدياجي أو بدا السحر

[25]نفس المرجع. ص. 169

وقد أشار البوصيري في القصيدة على نحو رائع بعيد, وهذا هو مظهر الجدة, الذي أشرنا إليه, فلم يكن التكرار عنه عبثا, يأتي به لملء الفراغ, بل كان لغرض فكرة ازدادت وضوحا في ذهنه, وهذا مما يشوقنا إلى قراءة قصائده والوقوف عند المعانى المشتركة فيها, والموازنة بينها, واستنباط أوجه القوة على اختلاف درجاتها, فلننظر إلى أبيات القصيدة ما فيها من التشبهات القوية والصور الرائعة.

ولعل أغلب الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيري اعتمدوا على معانية وألفاظه وعباراته وردت في القصيدة. وايضا في إبداع البوصيري ومدائحه ومتواصل إلى النبي (ص) لأن يظنه كثير من الذنوب ومعه الدَّين فيطلب إلى الله عسى أن يسهل في أمورها:

يارب واغفر لقاريها وسامعا # والمسلمين جميعا اينما حضروا
ووالدين وأهلين وجيرتنا # وكلنا سيد للعفو مفتقر
وقد أتيت ذنوبا لاعددا لها # لكن عفوك لايبقي ولا يذر
والهم عن كل ما أبغيه أشغلني # وقد أتى خاضعا والقلب منكسر
أرجوك يا ربي في الدارين ترحمنا # بجاه من في يديه سبح الحجر
ياربي أعظم لنا أجرا ومغفرة # فإن جودك بحر ليس ينحصر
واقضي ديونا لها الأخلاق ضائقة # وفرج الكرب عنا أنت مقتدر
وكن لطيفا بنا في كل نازلة # لطفا جميلا به الأهوال تنحسر

إن الابداع في شعر البوصيري بوجه عام, وفي القصيدة بشكل خاص جعل الكثير من الشعراء يتأثرون بها ويحاولون تقليدها. وفي طليعة من قلدها ونهج منهاج في العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي . ويفتح أحمد شوقي قصيدته بالغزل كما فعل البوصيري, ثم مخاطبة النفس, ثم الحديث عن الرسول لله (ص) ورسالته السمحاء العظيمة, وستبقي رمزا مثاليا للمدح القائم على الإعجاب, والذوبان بالممدوح, ومما قاله شوقي.

لو وازن بين القصيدة البوصيري والقصيدة لأحمد شوقي أن الشاعرين جهدا على اتباع أسلوب التقليد للقصيدة العربية القديمة, لا من حيث النهج في التصميم والبناء فحسب, بل من حيث استخدام القاموس اللغوي للعربية الفصحى في جاهليتها, والإيحاءات والمعاني, فنحن عندما نستمع للشاعرين, وهما ينشدان قصيدتيهما, فإننا نكون في حالة من يستمع إلى شاعر جاهلي, فتنتفي الأزمنة فتنمحي الأمكنة بينهم.

فكل الشاعرين البوصيري وشوقي يقفان على الأثار والدمن ليتذكرا الأحبة فينشدان قصائد يفتتحانها بالغزل, وإظهار الشوق والحنين إلى من تركن الديار, وهجن الأحبة, ثم يذرفان الدمع على ذلك الماضي السعيد, والأيام الحلوة الهنية. لكن البوصيري كان في غزلة أشد التصاقا من حيث العاطفة بمن يجب من شوقي الذي عبر من الفكرة دون أن يليج إلى مضامينها, فيبدي وصف معاناته, إنك عندما تثغي إلى الشاعرين وهما يتغزلان ستجد نفسك مأثرا عند سماع البوصيري ومطروبا معتزا عندما تسمع شوقي.

لقد حاول شوقي أن يخاطب البوصيري في القصيدة في كثير من مواقفه, التعبيرية, واستيحاءاته التصويرة, ولكن بقالب جديد أقرب إلى العصر, وخاصة عند مخاطبة شوقي النفس والطلب منها أن ترتدع عن ترك المعاصي, فالبوصيري يرى أن الشيب وضعف الجسد هما من أكثر الأمور الحاحًا لأن تزجر النفس وتبعدها عن سهواتها, بينما يرى شوقي أن سمو النفس عن الدنايا هو أمر واجب لترتفع عن عالم الحيوان عالم الإنسانية العاقلة.

وعندما يقف البوصيري ليمدح النبي (ص) فإنه يجهد نفسه في اختيار أجمل الصفة ليضعها في الرسول الكريم, وعندما يتحدث عن المعراج النبوي فإنك تحسن وأنت تسمعه يصف ذلك المعراج كأنك تواكب النبي (ص) في رحلته وليس مجرد مشاهد من بعيد كما يفعل شوقي في ذلك الوصف.

وعندما يتوصل البوصيري بالنبي (ص) فإنه لا يكتفي بأن يقف على بابه, طالبا منه المساعدة كما فعل شوقي,بل يصر على الدخول إلى بيت الرحمة ليكون ميصيره في الآخرة مأمونا, فهو لا طافة له على تحمل العذاب في الدنيا. وكيف في الاخرة[26].

قال الحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن عبدالله بن علوي الحداد باعلوي في كتابه "شرح راتب الحداد " بأنه " رأى من بعض فضائلها أن من واظب على قرائتها بعد صلاة مفروضة دخل الجنة. وكذا سمع من الشيخ العلامة الصوفي بن على الزارفي في يرتبها بعد الصلاة رجاء حسن الخاتمة" [27] .ويدل البيان السابق أن

[26]نفس المرجع. ص. 178

[27]الحبيب علوي بن أحمد بن ألحسن بن علوي الحداد باعلوي "شرح راتب الحداد" تحريم لمقام الإمام الحداد.ص 454

للقصـــيدة المضـــرية فضـــائلها دخـــول الجنـــة لمـــن واظـــب علـــى قرائتها بعد صلاة مفروضة.